دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الإجرام و المجرمون في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	الفكي، إسماعيل الفكي الرفاعي
مؤلفين آخرين:	محمد، أبراهيم أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2005
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 130
رقم MD:	561719
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، المجرمون ، ألفاظ القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561719

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الباب الرابع

عاقبة المجرمين

ويشتمل على :

الفصل الأول : عاقبة المجرمين في الدنيا

الفصل الثاني : عاقبة المجرمين في الآخرة

الفصل الأول

عاقبة المجرمين في الدنيا

عاقب الله سبحانه وتعالى المجرمين في الدنيا بعقوبات كثيرة منها : الختم على قلوبهم ، كما قال سبحانه وتعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ)[١]

وفي اللغة (الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شئ كأنه طبع)[٢]

والختم عقاب من الله على مبادرتهم للإجرام كما قال محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي رحمه الله : (إن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، كل ذلك عقاب من الله سبحانه وتعالى لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم ، فعاقبهم للكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم ، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاءاً وفاقاً) [٣]

ومن عقوبات الله سبحانه وتعالى للمجرمين في الدنيا نسيان الإنسان لنفسه وعدم النهوض بها إلى أفضل حالة ، كما قال شيخ الإسلام أحم ببن تيمية رحمه الله : (نسيان الإنسان لنفسه ولما في نفسه ، حصل بنسيانه لربه ولما أنزله . قال سبحانه وتعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .[٤]

---

(1) سورة البقرة – آية رقم ٧

(2) لسان العرب – لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : المجلد الثاني عشر – صفحة ١٦٣ – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م .

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – الجزء العاشر – صفحة ١٠ – لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – المتوفي في ١٧ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ – إصدار سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

(4) سورة الحشر – آية رقم ١٩ .

وقوله سبحانه وتعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم ، ،انهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم.

ونسيانهم أنفسهم يتضمن إعراضهم وغفلتهم وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك من حال أنفسهم ، كما أنه يقتضي تركهم لمصالح أنفسهم ، فهو يقتضي أنهم لا يذكرون أنفسهم ذكراً ينفعها ويصلحها ، وأنهم لو ذكروا الله لذروا أنفسهم .[١]

ومن العقوبات التي حلت بالمجرمين في الدنيا الطبع على القلوب والإهانة ، وفي ذلك قال بان قيم الجوزية رحمه الله : (وأنه أركس أربابها بما كسبوا ، وغطى على قلوبهم ، فطبع عليها بذنوبهم ، وأنه نسيهم كما نسوه ، وأهانهم كما أهانوا دينه ، وضيعهم كما ضيعوا أمره ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في آية سجود المخلوقات له : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ) [٢]

فإنهم لما هان عليهم السجود له ، واستخفوا به ، ولم يفعلوه ، أهانهم الله ، فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله) [٣]

---

(1) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيميه – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد ، مطابه مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، المجلد السابع عشر صفحة ٣٤٨ – ٣٤٩ .

(2) سورة الحج – آيه رقم ١٨ .

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية (٦١٩ – ٧٥١) . دار الرّاشد للنشر والتوزيع – الرياض – صفحة (٨٠ – ٨١).

ومن أكبر العقوبات في الدنيا حجب قلوبهم عن الإيمان كما قال سبحانه وتعالى : (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [1]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله في هذه الآية :

(أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا (إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا) [2]

وكثرة الذنوب ومنها الإعراض عن آيات الله ، كانت من أسباب عقاب الله للمجرمين في الدنيا ، قال سبحانه وتعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيِاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُواْ إِذاً أَبَداً) [3]

قال المفسر الشنقيطي في الآية السابقة : (ما ذكره في هذه الآية من أن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم ، قد زاد عليه في مواضع آخر بيان أشياء من النتائج السيئة ، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكرة ، فمن نتائجه السيئة : ما ذكره هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلماا ص ، ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق ، وعدم الاهتداء أبداً كما قال هنا مبيناً بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة : (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراا ص وإن تدعهم إلى الهدي فلن يهتدوا إذاً أبداً) .

---

[1] سورة المطففين – آيه رقم ١٤ .

[2] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – المجلد الرابع – رادعه ونقحه خالد محمد محرم – المكتبة العصرية – بيروت – ١٤٢٢هـ – صفحة ٤٤٠ .

[3] سورة الكهف – آية رقم ٥٧ .

ومنها أنتقام الله عز وجل وعلا من المعرض عن التذكرة ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) [1] ومنها كون المعرض كالحمار)[2] كما قال الله سبحانه وتعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ *كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ) [3].

ويصور لنا الإمام الشافعي نهاية المجرم في الدنيا فيقول :

إذا ما ظالم أستحسن الظلم مذهبا

ولج عتوا في قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الليالي فإنها

ستبدي له ما لم يكن في حسابه

فكم قد رأينا ظالما متمرداً

يرى النجم تيها تحت ظلال ركابه

فعما قليل وهو في غفلانه

أناخت صروف الحادثات ببابه

فأصبح لا مال ولا حياة يرتجى

ولا حسنات تلتقي في كتابه

وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا

---

[1] سورة السجده – آية رقم ٢٢ .

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – المتوفي في ١٢/٢٧ / ١٣٩٣هـ – المطالع الأهلية للأوفست ، الرياض – ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م ، الجزءالرابع (١٣٢ – ١٤٣) .

[3] سورة المدثر – رقم الآيات (٤٩ – ٥٠) .

وصب عليه الله سوط عذابه [١]

ولقد عاقب الله سبحانه وتعالى المجرمين في الدنيا بأنهم لا يسمعون الحق سماع فقه وقبول بقوله سبحانه وتعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ *وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ) .[٢]

ويتحدث ابن تيمية عن السماع فيقول :

(أصل السماع الذي أمر الله به ، هو سماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : سماع فقه وقبول ، ولهذا أنقسم الناس فيه أربعة أصناف : صنف معرض ممتنع عن سماعه ، وصنف سمع الصوت ولم يفقه المعنى ، وصنف فقهه ولكنه لم يقبله ، والرابع الذي سمعه سماع فقه وقبول)[٣]

ويقول ابن تيمية عن سماع الكفار للحق كما جاء في قوله سبحانه وتعالى : (ولم علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) (لم يرد به مجرد إسماع الصوت لوجهين : أحدهما : أن هذا السماع لابد منه ولا تقوم الحجة على المدعوين إلا به .

والثاني : أنه وحده لا ينفع ، فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القرآن وكفروا به .

بخلاف إسماع الفقه فإن ذلك هو الذي يعطيه الله لمن فيه خير) .[١]

---

(1) ديوان الإمام الشافعي المتوفي عام ٢٠٤ هـ – صفحة ٨ . دار المنار – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م ٩ شارع حسن العدزي ميدان الحسين – القاهرة .

(2) سورة الأنفال – رقم الآيات (٢٢ – ٢٣) .

(3) مجموع فتاوي شيخ الإسلام – أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد – مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م – المجلد السادس عشر – صفحة ٨ .

(١) مجموع فتاوي شيخ الاسلام ، أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد – مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبانان – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ، المجلد السادس عشر – صفحة ١٠ .

ومن عقوبات المجرم في الدنيا الغفلة عن الآخرة كما قال الله سبحانه وتعالى : (وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[٢]

يقول سَيّد قطب : (والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل ، وتؤرجح في أكفهم ميزان القيم ، فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً صحيحياً ، ويظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً ، لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان بغير نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض).[٣]

ومن عقوبات المجرمين في الدنيا التفرق والهلاك وفي هذا يقول ابن تيمية : (فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاؤ وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب).[٤]

ومن عقوبات المجرمين في الدنيا الطرد عن الصواب والذلة والهزيمة كما قال الله سبحانه وتعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ فِي الأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ).[١]

يقول ابن كثير : (يقول ثعالي مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله ، يعني الذين عم في حد ، والشرع في حد ، أي مجانبون للحق مشاقون له

---

[٢] سورة الروم – رقم الآيات (٦ – ٧) .

[٣] في ظلأل القرآن بقلم سيد قطب – المجلد الخامس – صفحة ٢٧٥٩ – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ .

[٤] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جميع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصيم النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد ، المجلد الثالث – صفحة ٤٢١ – مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م .

[١] سورة المجادلة – رقم الآيات (٢٠ – ٢١) .

هم في ناحية والهدى في ناحية (أؤلئك في الأذلين) أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة : (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل ، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة)[٢]

ومن عقوبات المجرمين القتل كما حصل لأمية بن خلف ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدث (عن سعد بن معاذ أنه قال كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أُمية ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدنية أنطلق سعد معتمراً ، فنزل على أُمية بمكة ، فقال لأمية أُنظر لي ساعة خلوةٍ لعلّي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبوجهل فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك ؟ فقال : هذا سعدٌ . فقال له أبوجهل : إلا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصُباةَ وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم .

أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعد . ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنَّك ما هو أشدُّ عليك منه : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي ، فقال سعدٌ : دَعْنَا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً ، فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أمَّ صفوان ، ألم ترى ما قال لي سعدٌ ؟

---

[٢] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – المجلد الرابع – صفحة ٢٩٦ – راجعه ونقحه خالد محمد محرم – المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٢ هـ .

قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أنَّ محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ ، فقلت له ، بمكة ؟ قال ، لا أدري ، فقال أُمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدرٍ استنفر أبوجهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكرة أُمية أن يخرج ، فأتاه أبوجهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلَّفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبوجهلٍ حتى قال : أمّا إذ غلبتني فوالله لأشترينَّ أجود بعير ثم قال : يا أمَّ صفوان جَهَّزيني ، فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربيُّ ؟ قال : ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً ، فلما خرج أُمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وحل ببدر) [1]

ومن أمثلة ما عاقب الله به المجرمين قتل كعب بن الأشرف . كما جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لكعب بن الاشرف ؟ فإنه قد آدى الله ورسوله ، فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحبُّ أن أقتله ؟ قال : نعم . قال . فأذن لي أن أقول شيئاً ، قال : قل : فأتاه محمد مسلمة فقال : إنَّ هذا الرجل قد سألنا صدقةً ، وإنه قد عنانا ، وإنى قد أتيتك أستسلفك قال : وأيضاً والله لتملُّنَّه ، قال : إنا قد اتبعناه ، فلا تحب أن ندعة ينظر إلى أيِّ شئ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين – وحدثنا عمر وغير مرة فلم يذكر (وسقاً أو وسقين) فقلت له / فيه (وسقاً أو وسقين) فقال : أرى فيه (وسقاً أو وسقين) . فقال : نعم ، أرهنوني ، قالوا : أيُّ شئ نريد ؟ قال : أرهنوني نساءُكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت

---

[1] صحيح البخاري رقم الحديث ٣٩٥٠ – من كتاب فتح الباري – الجزء السابع صفحة (٣٢٩ – ٣٣٠) كتاب المعازي – باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من يقتل ببدر ، دارالريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م – بشرح وتصحيح وتنقيح محي الدين الخطيب .

أجمل العرب ؟ قال : فارهنوني أبناءكم : قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسبُّ أحدُهم فيقال : رُهنَ بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك للأمة ، قال سفيان : يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائله – وهو أخو كعب من الرضاعة – فدعاهم إلى الحصن : فنزل إليهم ، فقالت له أمرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال إنما هو محمد بن مسلمة ،أخي أبو نائله ، وقال غير عمرو : قالت أسمع صوتاً وكأنه يقطر منه الدم . قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائله ، إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب ، قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان سماهم عمرو ؟ قال سمي بعضهم ، قال عمرو / جاء معه برجلين ، وقال غر عمرو : أبوعيسى بن جبر والحراث بن أوسٍ وعبّاد بن بشر ، قال عمرو جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء فإني قائل بشعره فاشُّمه ، فإذا رأيتموني أستمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ، وقال مرَّة : ثم أتمُّكم – فنزل إليهم مُتوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً – أي أطيب – وقال غير عمرو : قال عندي أعطرُ نساء العرب وأكمل العرب ، قال عمرو فقال أتأذن لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ، ثم اشمَّ اصحباه ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم فلما استمكن منه قال : دونكم ، فقتلوه . ثم أتوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبروه)[1]

ومن المجرمين الذين قتلوا أبي رافع اليهودي ، لما جاء عن البرء بن عازب قال (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع : اليهودي رجالاً من

---

[1] صحيح البخاري – رقم الحديث ٤٠٣٧ – من كتاب فتح الباري – الجزء السابع – صفحة (٣٩٠ – ٣٩١) – باب قتل كعب بن الأشرف – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م – تحقيق محب الدين الخطيب .

الأنصار ، فأمَّر عل يهم عبدالله بن عتيك ، وكان أبورافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعبين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فملا دنوا منه – وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم – فقال عبدالله لأصحابه : أجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعليّ أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجةً ، وقد دخل الناس : فهتف به البواب : يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فأدخل فإني أُريدٌ أن أُغلق الباب ، فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على ودِّ.

قال فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسَمرُ عنده ، وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل . قلت إن القوم نذرو ابي لم يخصلوا إليَّ حتى أقتله ، فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيتٍ مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، فقلت أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويتُ نحو الصوت فأضربه ضربةً بالسيف وأنا دَهِشُ فما أعنيت شيئاً ، وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيدٍ ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمِّك الويل ، إنَّ رجلاص في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثمَّ وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجلعت أفتح الأبواب باباً باباً حتى أنتهيت إلى درجةٍ له ، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد أنتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مُقمرةٍ ، فانكسرتْ ساقي ، فعصبتها بعصامة قم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته ، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابي

فقلت النجاء ، فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته ، فقال لي : أَبسُط رجلك ، فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنها لم اشتكها قط) [1]

وقد عاقب الله المجرمين في الدنيا بأن أخذ المسلمون منهم الأموال وقُتل الرجال وسبي النساء والذرية ، وكان ذلك بسبب إجرامهم ، كما ثبت ف يالحديث عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : (أصيب سعد يوم الخندف ، رماه رجل من قريش يقال له جبّانُ بن العرفة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ، والله ما وضعته ، أخرج إليهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فاشار إلى بني غريظة ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه فردَّ الحكم إلى سعد ، قال :(فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم)[1]

ومن عقوبات المجرم في الدنيا حرمانه من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الملائكة . وذلك لقوله سبحانه وتعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ *رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

---

[1] صحيح البخاري – رقم الحديث ٤٠٣٩ – من كتاب فتح الباري الجزء السابع – صفحة (٣٩٥ – ٣٩٦) – باب تقل أبي رافع عبدالله بن أبي الحُقيق – دار الريان – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م – تحقيق محب الدين الخطيب .

[1] صحيح البخاري – رقم الحديث ٤١٢٢ – من كتاب فتح الباري – شرح صحيح البخاري – لأبن حجر العسقلاني – الجزء السابع – صفحة ٤٧٥ . دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م – تحقيق محب الدين الخطيب .

الْحَكِيمُ *وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [٢]

ومن عقوبات المجرمين عند وداعهم الدنيا عند الموت يبشرون بالنار ، كما قال سبحانه وتعالى : (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً) [٣]

يقول ابن كثير قائلاً عن رؤية المجرمون للملائكة (هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق وقت الاحتضار حيث تبشرهم الملائكة بالنار ، والغضب من الجبار ، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : أُخرجي إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه) [١]

وقد جاء بهذا حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال : ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صَلىَّ الله عليك وعلى جسدٍ كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول أنطقلوا به إلى آخر الأجل قال وإنَّ الكافر إذا خرجت روحه قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعناً ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال

---

[2] سورة غأفر – رقم الآيات (٧ – ٩) .

[3] سورة الفرقان – آية رقم ٢٢ .

[١] تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩ م – الجزء الثالث – صفحة ٣١٣ .

: أبو هريرة : فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم رَيْطَةً [٢] كانت عليه على أنفه هكذا) [٣]

وروح الكافر ترد إلى سجين وفي هذا يقول القاضي عياض (المراد بالأول انطلقوا بروح المؤمن إلى سورة المنتهى والمراد بالثاني انطلقوا بروح الكافر إلى سجين فهي منتهى الأجل ويحتمل أن المراد إلى انقضاء أجل الدنيا)[٤]

ومن أعظم العقوبات وأخطرها على المجرمين سوء الخاتمة وفي هذا يقول الغزالي : (فأعلم أن سوء الخاتمة على مرتبتين ، إحداهما أعظم من الأخرى ، فاما الرتبة العظيمة الهائلة : بأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله : إما الشك ، وإما الجحود ، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك ، فيكون ما غلب على القلب من عقدة الحجود حجاباً بينه وبين الله سبحانه وتعالى أبداً ، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد .

والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمرو الدينا وشهوة من شهواتها ، فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون اشفراق قلبه به متكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها ، ومهما أنصرف الوجه عن الله سبحانه وتعالى حصل

---

[٢] الريطة : بفتح الراء واسكان الباء ثوب رقيق وقيل هو الملاءة وكان سبب ردهخا على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر ، كشرح الإمام النووي لصحيح مسلم – صفحة ٢٠٥ – الجزء السابع عشر – مؤسسة مناهل العرفان – بيروت – توزيع مكتبة الغزالي دمشق .

[٣] صحيح مسلم : رقم الحديث ٢٨٧٢ – من كتاب شرح الإمام النووي لصحيح مسلم – صفحة ٢٠٥ – مؤسسة مناهل العرفان – بيروت – توزيع مكتبة الغزالي دمشق – باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وأثبات عذاب الغير والتعوذ منه – الجزء السابع عشر .

[٤] من كتاب – صحيح مسلم – بشرح الإمام النووي الجزء السابع عشر – الناشر مؤسسة مناهل العرفان – بيروت – توزيع مكتبة الغزالي – دمشق .

الحجـاب ، ومهمـا حصـل الحجـاب نـزل العـذاب إذ نـار الله الموقـودى لا تأخـذ إلا المحجوبين عنه)[١]

[1] إحياء علوم الدين للغزالي – الجزء الرابع ، دار التقوى للتراث – الطبعة الأولى : ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م – القاهرة – مصر – صفحة ٤٥ .

الفصل الثاني

عاقبة المجرمين في الآخرة

يوم القيامة يعاقب الله سبحانه وتعالى المجرمين بعقوبات كثيرة منها عدم قبول الشفاعة فيهم ، ولأنهم كانوا يعتقدون نفع الشفعاء لهم ، وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية (ومن جهل المشرك : اعتقاده أن من أتخذه ولياً أو شفيعاً أنه يشفع له ، وينفعه عند الله ، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم .

ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال سبحانه وتعالى : (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [١] في الفصل الأول وقوله سبحانه وتعالى (وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى) [٢]

وبقى فصل ثالث ، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم) [٣]

والشفاعة لا تقبل في الكافر حتى ولو كانت من الصالح وهذه الشفاعة كعدمها ، كما قال سبحانه وتعالى : (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) [٤]

ولهذا لما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة لعمه لم يقبل منه وإنما خفف عنه العذاب كما جاء في الحديث عن أبي سعد الخدري ، أن رسول الله صلى

---

(1) سورة البقرة – الآية ٢٥٥ .

(2) سورة الأنبياء – الآية ٢٨ .

(3) مدارك السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب إبن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥٧) دار الحديث – القاهرة – الجزء الأول – صفحة ٣٧٠ .

(4) سورة المدثر – آية رقم ٤٨ .

الله عليهوسلم ذكر عنده عمه أبو طالب ، فقال : (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار ، يبلغ كعبية ، يغلي منه دماغه) [١]

وهكذا كل مجرم مشرك لا تنفعه الشفاعة يوم القيامة ولا يدخل الجنة ، حتى ولو دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باقي على إجرامه ، كما حصل من أبي طالب حينما دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل القرابة ، كما قال : أبن تيمية : (ألا ترى أن أبا طالب نصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذب عنه أكثر من غيره ، لكن فعل ذلك لأجل القرابة ، لا لأجل الله سبحانه وتعالى ، فلم يتقبل الله ذلك منه) [٢]

ومقصود الشفاعة قبول المشفوع فيه ، وفي ذلك يقول أبن تيمية : (فالشفاعة : مقصودها قبول المشفوع إليه ، وهي الشفاعة التامة فهذه هي التي لا تكون إلا بإذنه ، وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته : كانت كعدمها ، وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها) [٣]

والظلم المطلق إذ أرتكبه المجرم وهو الشرك فلا شفاعته فيه ، وفي هذا يقول أبن تيمية (فالظلم ثلاثة أنواع : فالظلم الذي هو شرك لا شفاعته فيه ، وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه ، لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة

---

[١] صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه – المجلد الأول – نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية – سنة (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م) صفحة ١٩٥ .

[٢] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وساعده أبنه محمد – المجلد العاشر – صفحة ٤٨٠ ، كتاب علم السلوك – مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ٤١٨ هـ / ١٩٩٧م .

[٣] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية المجلد الرابع عشر – صفحة ٣٨٦ – ٣٨٧ – مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م .

ولا غيرها ، ولكن قد يعطي المظلوم من الظالم ، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة ، فالظالم المطلق ماله من شفيع مطاع) .[1]

ومن عقوبة المجرمين الشفقة والخوف كما قال تعالى : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) [2]

يقول محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ذكر الله جلا وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكتاب يوضع يوم القيامة .

والمراد بالكتاب : حنس الكتاب ، فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا ، وأن المجرمين يشفقون مما فيه ، أي يخافون منه ، وأنهم يقولون (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر ..) ، أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) من المعاصي التي عملناها (إلا أحصاها) أي ضبطها وحصرها) [3]

ومن عقوبات المجرمين كشف الحقائق التي كانوا يكذبون بها ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً) [4]

يقول محمد الأمين الشنقيطي : (ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المجرمين يرون النار يوم القيامة ،ويظنون أنهم مواقعوها ، أي مخالطوها

---

[1] مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – المجلد السابع – صفحة ٧٨ ، مطابع مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان _ ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .

[2] سورة الكهف – آية رقم ٤٩ .

[3] أضواء البيان في أيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – المتوفي في ١٣٩٣ هـ – الجزء الرابع – صفحة ١١٦ – المطابع الأهلية للأوفست / الرياض – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

[4] سورة الكهف – الآية رقم ٥٣ .

وواقعون فيها ، والظن في هذه الآية بمعنى اليقين ، لأنهم أبصروا الحقائق وشاهدوا الواقع .

وقد بين الله سبحانه وتعالى في غير هذا الموضع أنهم موقنون بالواقع ، كقوله عنهم : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ)[1]

ومن إطلاق الظن على اليقين قوله سبحانه وتعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ *الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) [2] (أي يوقنون أنهم ملاقوا ربهم) [3]

ومن عقوبات المجرمين يوم القيامة كشف كل الأمور كما قال سبحانه وتعالى : (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ) [4]

يقول سيد قطب :

في الآية الكريمة السابقة (فالكل مكشوف ، مكشوف الجسد ، مكشوف النفس ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، مكشوف المصير ، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار ، وتتعرى النفوس تعري الأجساد ، وتبرز الغيوب بروز الشهود ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره

---

[1] سورة السجدة – الآية رقم ١٢ .

[2] سورة البقرة – الآية رقم (٤٥ – ٤٦) .

[3] أضواء البيان في أيضاح القرآن بالقرآن – تأليف محمد الأمين الشنقيطي – الجزء الرابع – صفحة ١٢٩ – ١٣٠ – المطابع الأهلية للأوفست / الرياض .

[4] سورة الحاقة – الآية رقم (١٨)

، ويفتضح منه ما كان حريصاً على أن يستره حتى نفسه وما أقسى الفضيحة على الملأ) [1]

ومن عقوبات المجرمين يوم القيامة الندم ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[2]

يقول ابن كثير من المجرمين (هكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما نحن عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى أتباعهم) [3]

ومن الندم العض على الأيدي ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً *اَوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً *لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً) [4]

يقول ابن كثير عن ندم وحسرة الظالم المجرم يوم القيامة (يخبر الله سبحانه وتعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه وسلك طريقاً آخر غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حين لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرةً وأسفاً

---

(1) فس ظلال القرآن ، بقم سيد قطب – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م – المجلد السادس – صفحة ٣٦٨٠ .

(2) سورة الملك – رقم الآية ١٠ .

(3) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ٣٩٧ ، الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ هـ .

(4) سورة الفرقان – رقم الآيات (٢٧ – ٢٩) .

وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم) [١]

ومن الندم الذي يحصل للمجرمين إحباط الأعمال كما قال سبحانه وتعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [٢]

يصور ويشرح لنا سيد قطب حالة أحباط أعمال المجرمين يوم القيامة فيقول : (وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله ، أن أحبط الله أعمالهم ، وإحباط الأعمال تغبير تصويري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير ، فالحبوط أنتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام – ينتهي بها إلى الموت والهلاك والضياع ، إنها صورة وحركة ، ونهاية مطالبقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام المنتفخة كبطون الأنعام ، حين ترعى من ذلك النبت السام) [٣] ويظهر الندم والتحسر عندما يأخذ المجرم كتابه بشماله ، كما قال سبحانه وتعالى : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ *يلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) [٤]

يقول المفسر سيد قطب : عن ندم وتحسر المجرم يوم القيامة عندما يعرف أنه داخل إلى النار : (وعرف أنه مؤاخذ بسيئاته ، وأن إلى العذاب مصيره ، فيقف في هذا المعرض الحافل الحاشد ، وقعة المتحسر الكسير الكيئيب ، فيقول : ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م – الجزء الثالث – صفحة ٣١٧ .

(٢) سورة محمد – الآية رقم ٢٨ .

(٣) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م – المجلد السادس – صفحة ٣٢٨٩ .

(٤) سورة الحاقة – رقم الآيات (٢٥ – ٢٩) .

عنـي سلطانيه ، وهـي وقفة طويلـة ، وحسرة مريرة ، ونغمـة يائسـة ، ولهجـة بائسـة ، والسياق يطيل عرض هذه الوقفة حتى ليخيل إلـى السامع أنها لا تنتهي إلـى نهاية ، وأن هذا التضجع والتحسر سيمضي لا غاية ، وذلك من عجائب العرض في إطالة بعض المواقف ، وتقصير بعضـها ، وفق الإيحـاء النفسـي الـذي يريـد أن يتركـه فـي النفوس ، وهنا يراد طبع موقف الحسرة وإيحاء الفجيعة من وراء هذا المشهد الحسير ، ومـن ثم يطـول ويطـول ، تنغيم وتفصـيل ، ويتمنـى ذلك البائس أنـه لـم يـأت هذا الموقف ، ولم يؤت كتابه ، ولم يدر ما حسابه ، كما يتمنى أن لو كانت هذه القارعة هي القاضية ، التي تنهي وجوده أصلاً فلا يعود بعدها شيئاً ، ثم يتحسر أن لا شئ نافعة مما كان يعتز بـه أو يجمعة : (مـا أغنـى عنـي ماليـه ، هلك عن سلطانية) فلا المال أغنى أو نفع ، ولا السلطان بقي أو دفع) .[1]

ومـن عقوبـات المجـرمين يـوم القيامـة اليـأس والفضـيحة ، كمـا قـال سـبحانه وتعـالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَافِرِينَ *وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) [2]

يقول أبن كثير في الآية : (ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون) قال أبن عبـاس : ييـأس المجرمـون ، وقـال مجاهـد يفتضـح المجرمـون وفـي روايـة يسـكت المجرمون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) أي شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليه ، ثم قال سبحانهة وتعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) . قال قتادة : هي والله الفرقة التي لا

---

[1] في ظلال القرآن – بقم سيد قطب – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م ، المجلد السادس – صفحة ٣٦٨٢ .

[2] سـورة الروم – رقم الآيات (١٢ – ١٤) .

اجتماع بعدها ، يعني أنه إذا دفع هذا إلى عليين وخفض هذا إلى أسفل سافين فذلك آخر المهد بينهما) [1]

ويصاب المجرمون بيأس من كل خير عند عملهم باستمرار العذاب ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ *وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْاْ يمَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[2]

يقول أبن كثير عن حال المجرمين في الآخرة في تفسيره للآيات السابقة : (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم أي ساعة واحدة (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وإرسالها إليهم فكذبوا وعصوا فجوزا بذلك جزاء وفاقاً وما ربك بظلام للعبيد (ومادوا يا مالك) وهو خازن النار ، ليقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فلما سألوه أن يموتوا أجابهم مالك (قال إنكم ماكثون) أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال : (لقد جئناكم بالحق) أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه (ولكن أكثركم للحق كارهون) أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقيل عليه وإنما تنقاد للبطال وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة) [1]

---

[1] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٩م – الجزء الثالث – صفحة ٤٢٨ .

[2] سورة الزخرف – رقم الآيات (٧٤ – ٧٨) .

[1] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ١٣٥ ، الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٣٨٨ هـ .

ولكن الجواب يجئ في تيئس وتخذيل ، ولا رعاية ولا أهتمام ، (قال : إنكم ماكثون) ، فلا خلاص ولا رجاء ولا موت ولا قضاء) .[٢]

ومن أنواع العقاب للمجرمين في الآخرة التوبيخ بأنهم كانوا في تكبر عن الحق ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ) [٣]

قال أبن كثير عن المجرمين وتوبيخهم : (يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً أما قرئت عليكم آيات الله سبحانه وتعالى فاستكبرتم عن أتباعها وأعرضتم من مساعها وكنتم قوماً مجرمين في أفعالكم مع ما أشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ، أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك (قلتم ما ندري ما الساعة) أي لا نعرفها (إن نظن إلا ظناً أي إن نتوهم وقوعها إلا توهما مرجوحاً ولهذا قال (وما نحن بمستيقنين) أي بمحققين ، قال الله سبحانه وتعالى : (وبدأ لهم سيئات ما عملوا) أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحاق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا به يستهذئون) أي من العذاب والنكال (وقيل اليوم

---

[2] في ظلال القرآن – بقلم سيد قطب – المجلد الخامس – صفحة ٣٢٠٢ – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م .

[3] سورة الجاثية – رقم الآيات (٣١ – ٣٤) .

ننساكم) أي نعاملكم معاملة الناس لكم في نار جهنم (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا) [١]

ومن العقوبات أن وجوههم تغشاها ظلمة وسواد كما قال سبحانه وتعالى : (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) .[٢]

وكقوله سبحانه وتعالى : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) [٣]

وأما العلامات التي تظهر عليهم يقول فيها الله سبحانه وتعالى : (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ) [٤]

ويقول أبن كثير عن الآية السابقة ، قائلاً عن علامات المجرمين : (وبعلامات تظهر عليهم ، وقال الحسن وقتادة يعرفون باسوداد الوجوه وزرقة العيون (قلت) وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء) [٥]

ومن العقوبات لهم يوم القيامة أن يحشر المجرم أعمى البصر كما قال الله سبحانه وتعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى) [٦]

---

[١] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ١٥٢ – ١٥٣ – الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨هـ .

[٢] سورة عبس – رقم الآيات (٤٠ – ٤٢) .

[٣] سورة الزمر – رقم الآية : ٦٠

[٤] سورة الرحمن – رقم الآية ٤١ .

[٥] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – الجزء الرابع – صفحة ٢٧٥ ، الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٨٨ .

[٦] سورة طه – آية رقم ١٢٤ .

قال الشنقيطي : (وأن المراد بقوله (أعمى) أي أعمى البصر لا يرى شيئاً ، والقرينة المذكورة هي قوله سبحانه وتعالى : (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) فصرح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر وهم بصر العين ، لأن الكافر كان في الدنيا أعمى القلب كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله ، وقد زاد جل وعلا في سورة بني أسرائيل أن مع ذلك العمى يحشر أصم أبكم أيضاً) [١] وذلك في قوله سبحانه وتعالى : (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً) [٢]

يقول الشنقيطي (في آية (طه) هذه وآية (الأسراء) المذكورتين أشكال معروف وهو أن يقال : إنهما قد دلتا على أن الكافر يحشر يوم القيامة أعمى ، وزادت آية الأسراء : أنه يحشر أبكم أصم أيضاً ، مع أنه دكت آيات من كتاب الله على أ، الكفار يوم القيامة يبصرون ويسمعون ويتكلون ، كقوله سبحانه وتعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) [٣]

والجواب عن هذا الإشكال من ثلاثة أوجه :

الوجة الأول ، واستظهره أبو حيان [٤] أن المراد بما ذكر من العمى والصم والبكم حقيقته ، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله سبحانه وتعالى إليهم أبصارهم

---

[١] أضواء البيان في أيضاح القرآن بالقرآن تاليف محمد الأمين بت محمد المختار الجكني الشنقيطي – الجزء الرابع – صفحة ٥٤٨ – ٥٤٩ – المطابع الأهلية للأوفست / الرياض – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

[٢] سورة الإسراء – آية رقم ٩٧ .

[٣] سورة مريم – آية رقم ٣٨ .

[٤] هو أثير الدين ، أبو عبدالله ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الأندلس ، الغرناطي ، الحيَّاني ، ولد سنة ٦٥٤ هـ – وتوفي ٧٤٥ هـ ، له تفسير البح المحيطج – صفحة ٣٢٥ – ٣٢٦ التفسير والمفسرون – الجزء الأول – الطبعة السادسة ٤١٦ هـ – نشر مكتبة وهبة – القاهرة .

ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم في غير موضع .

الوجه الثاني : أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ، ولا يسمعون كذلك ، ولا ينطقون بحجة ، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه ، وعلى هذا القول فقد نزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به .

الوجه الثالث : إن الله إذا قال لهم (أحسنوا فيها ولا تكلمون) وقع بهم ذلك العمى والصمم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج) [١]

ومن العقوبات دخولهم النار مقيدين في ذلك يقول ابن كثير عند بروز الخلائق لله سبحانه وتعالى : (وتبز الخلائق لديانها ، ترى يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء والأشكال منهم كل صنف إلى صنف : (في الأصفاد) والأصفاد هي القيود قاله ابن عباس وسعيد بن جبير [٢] والأغمش وعبدالرحمن بن زيد) [٣]

كما قال الله سبحانه وتعالى : (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) [٤]

---

[١] أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن – تأليف محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفي سنة ١٣٩٣ هـ – الجزء الرابع – صفحة ٥٤٩ – ٥٥٠ المطابع الأهلية للأوفست / الرياض – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

[٢] هو أبو محمد – وأبو عبدالله – سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي ، حبشي الأصل ، سمع جماعة من أئمة الصحابة – من كبار التابعين – قتل سنة ٩٥ هـ – التفسير والمفسرون – لمحمد حسين الذهبي – الجزء الأول – نشر مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة السادسة – ١٤١٦ هـ – صفحة (١١٢ – ١١٣) .

[3] تفسير القرآن العظيم – لأبن كثير – المجلد الثاني – صفحة ٤٩٩ – مراجعة خالد محمد محرم .

[4] سورة أبراهيم – الآية رقم ٤٩ .

ويشهد على معنى الأصفاد القيول قول عمر بن كلثوم :

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا *** وأُبنا بالملوك مصفدينا [١]

ويوم القيامة يتمنى المجرم الفداء كما قال الله سبحانه وتعالى : (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ) [٢]

يتحدث سيد قطب عن حال المجرم يوم القيامة فيقول : (فما بال المجرم ؟ إن الهول ليأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدي من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يفتديهم بنفسه في الحياة ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم ، ببنية ، وزوجه وأخيه ، وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه ، بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدي بمن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ، وهي صورة للهفة الطاغية والفزع المزهل والرغبة الجامحة في الإفلات ، صورة مبطنة بالهول ، مغمورة بالكرب ، موشاة بالفزع ، ترتسم من خلال التعبير القرآني الموحي ، وبينما المجرم في هذ الحال ، يتمنى ذلك المحال ، يسمع ما يئيس ويقيظ من كل بارقة من أمل ، أو كل حديث خادع من النفس ، كما يسمع الملأ جميعاً حقيقة الموقف وما يجري فيه ، (كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى *نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى *تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى) [٣]

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ – ٣٢٨) تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون – دار المعارف ١٩٦٣م / القاهرة – صفحة ٤١٢ .

(2) سورة المعارج – رقم الآيات (١١ – ١٤) .

(3) سورة المعارج – رقم الآيات (١٥ – ١٨) .

إنه مشهد تطير له النفوس شعاعاً ، بعد ما أذهلها كرب الموقف وهوله .. (كلا) في ردع عن تلك الأماني المستحيلة في الأفتداء بالنسب والزوج والأخ والعشيرة ومن في الأرض جميعاً) [1]

وبعد ذلك يقال لهم أدخلوا أبواب جهنم ، كما قال سبحانه وتعالى : (ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) [2]

يقول الطبري في الآية السابقة ٠ يقول تعال ذكره لهم : أدخلوا أبواب جهنم السعبة من كل باب منها جزء مقسوم منكم (فبئس ...) يقول : فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه ، ويؤمنوا برسلة اليوم جهنم) [3]

ويوم القيامة يجد المجرمون العذاب الأليم ، كما قال سبحانه وتعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً) [4]

يقول أبو جعفر في الآية (وأما الذين أستنكفوا ....) (فإنه يعني : وأما الذين تعظموا عن الإقرار لله بالعبودية ، والإذعان له بالطاعة ، واستكبروا عن التذلل لألوهيته وعبادته ، وتسليم الربوبية والوحدانية له ، (فيعذبهم عذاباً أليماً) يعني : عذاباً موجعاً ، (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) يقول : ولا يجد المستنكفون عن عبادته والمستكبرون عنها ، إذا عذبهم ال له الأليم من عذابه ، سوى الله لأنفسهم وليّاً ينجيهم من عذابه وينقذهم منه ، (ولا نصيراً) يعني : ولا

---

[1] في ظلال القرآن الكريم – بقلم سيد قطب – دار الشروق – بيروت – الطبعة الشرعية الثلاثون – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م – المجلد السادس – صفحة (٣٦٩٧ – ٣٦٩٨) .

[2] سورة غافر – الآية رقم ٧٦ .

[3] تفسير الطبري – المجلد الحادي عشر – فحة ١٧٩ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

[4] سورة النساء – الآية رقم ١٧٣ .

ناصراً ينصرهم فيستنقذهم م ربهم ، ويدفع عنهم بقوته ما أحل بهم من نقمته ، كالذي كانوا يفعلون بهم إذا أرادهم غيرهم من أهل الدينا في الدنيا بسوء ، من نصرتهم والمدافعة عنهم) [1] وأما طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ، كما قال القرطبي : ٠ فمرة يطعمون الزقوم ، وأخرى يسقون الحميم ، ومرة يعرضون على النار ، وأخرى على الزمهرير ، أجرنا الله عن عذاب القر ، ومن عذاب النار برحمته وكرامته ، وآخر يعرش له لوحات من نار ، وآخر يقال له : تم نومة المنهوس) [2]

يقول العزال عن أحوال المجرمين يوم القيامة (وتأمل في حال الخلائق وقد قاسسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المنقلب ، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سوء العمل ؟

فيبادرونه بمقامع حديد ، ويستقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) [3]

---

[1] تفسير الطبري – المجلد الرباع – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م – صفحة ٣٧٧ .

[2] التذكرة في أحوال الموتى وأمرو الآخرة – تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي – ٦٧١ هـ – تحقيق خالد بن محمد بن عثمان – مكتبة الصَّفا – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م – صفحة ١٢٥ .

[3] سورة الدخان – الآية رقم ٤٩ .

فأسكنوه دار ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، ومالهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ، ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود ، فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ! ولا خروج لكم من دار الهوان ، فاخسئوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ، ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبون على وجوههم مغلوبين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم ،و النار عن شمائلهم ، فهم غرقى في النار ، طعامهم نار ، وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران ، وضرب المقامع ، وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطمون في دركاتها ، ويضطربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم ، فينفجر الصديد من أفواههم ، وتقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومها ، ويمتعط من الأطراف شعورها ، بل جلودها ، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، قد عريب من اللحم عظامهم ، فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب ، وهي تنش في لفح تلك النيران ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون ، فكيف بك لو نظرت إليهم وقد أسودت وجوههم أشد سواداً من الحميم ،

وأعميت أبصارهم ، وأبكمت ألسنتهم ، وقصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم ، وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، وغلث أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، وهم يمشون على النار بوجوههم ، ويطأون حسك الحديد بأحداقهم ، فلهيب النار سار في بواطن أجزائها ، وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم) [1]

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي – الجزء الرابع – دار التقوى للتراث ، الطبعة لأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م – القاهرة – مصر – صفحة (٥١٩ – ٥٢٠) .